مسألة القتال

لما استقر الإمام في الدرعية 1157هـ تقريباً شرع في توسيع نطاق وسائل الدعوة وزاد من إرسال الرسائل والمكاتبات، والنشاط العلمي فراسل العلماء والقضاة وطلاب العلم وأئمة المساجد وشيوخ القبائل[1] وأمراء البلدان، وكان يدعوهم إلى أمرين أولهما: مبادئ الدعوة التي تمثل الرجوع إلى الدين الحق بتحقيق التوحيد، وإقامة الفرائض، والسنن وأحكام الشرع في كل شؤون الحياة، ونبذ الشركيات والبدع وترك المنكرات.

وثانيهما: الدعوة إلى الجماعة ونبذ الفرقة، والانضمام إلى الكيان الجديد في الدرعية وقد استجابت غالب البلدان المجاورة طواعية مثل العمارية وعرقة ومنفوحة والعيينة وحريملاء. فأعلنت ولاءها لدعوة التوحيد وإمارتها في الجملة مع ما شاب ذلك من الاضطراب والتذبذب، لأن كثيرين من أهل الرئاسة والجاه وأصحاب المصالح[2]. المستفيدين من الفرقة والشتات وشيوع البدع عَزَّ عليهم أن يفقدوا مصالحهم التي ستنتهي بتوحيد البلاد وتطهيرها من مظاهر الفرقة والبدع.

---

1 () انظر عنوان المجد (1/14، 16).

2 () انظر: الإمام محمد بن سعود للدكتور عبدالرحمن العريني (90، 91).

وبذلك أصبحت الدرعية بمثابة العاصمة للدولة الناشئة.

وكان الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب آنذاك يطمح إلى أن تتحد نجد كلها على دعوة التوحيد وأن تكون تحت راية واحدة وإمارة واحدة، وتكون على ما أمر الله به من الجماعة ونبذ الفرقة وظهور الدين.

فقد صرح الشيخ الإمام بهذا الهدف السامي بقوله لابن معمَّر حين قدم إليه بالعيينة: « إني لأرجو إن أنت قمت بنصر لا إله إلا الله أن يُظهرك الله وتملك نجداً وأعرابها »[1]. فكان يؤمل أن تكون نجد مملكة واحدة.

ولذا فإن موقف الدعوة من القتال تدرج حسب المراحل الطبيعية والموقف الشرعي في نمو الدعوة ودولتها.

ففي أول الدعوة لم تَشْرَع في القتال، ولم تستحله أصلاً، لأنها لم تتمكن، ولم يكن لها سلطان ومن ثم لم يكن لها مبرر شرعي يجيز لها أن تستعمل القوة.

فلما اشتهرت الدعوة، وشرع الإمام محمد بن عبدالوهاب وأتباعه وأنصاره بالصدع بالحق، ظهرت ردود الأفعال من الخصوم والمخالفين والمعارضين قوية وعنيفة، وصارت تعتدي وتستعدي الدول

---

[1] () عنوان المجد لابن بشر (1/9).
وانظر: الإمام محمد بن سعود للدكتور عبدالرحمن العريني (90، 91).

والحكام والأمراء وشيوخ القبائـل والرؤسـاء وسـائر الناس كذلك.

فنتج عن هذه الجهود المضادة أنواع من العنـف ضـد الـدعوة ومؤيـديها بشـتى أصـنافه مـن الطـرد والحبس والقتل، وقبله التشهير والبهتان.

وفي الوقت نفسـه تجـذرت الأصـول الشـرعية لإمـارة محمـد بـن سـعود حامـل لـواء الـدعوة، وكـثر أنصاره وقـويت شـوكته، وبـايعته كـثير مـن الأقـاليم المجاورة، وبدأت مواجهة خصـوم الـدعوة، مـن قِبَـل جيرانها أمثال (دهام بن دوَّاس) وغيره.

ومـن هنـا نشـأت بالضـرورة شـرعية القتـال للدفاع عن النفس والكيان فصـارت إمـارة آل سـعود (الأمير محمد بن سعود) بتوجيه من الإمـام محمـد بـن عبدالوهاب هي القوة المدافعة عـن الـدعوة وبلادهـا، مما جعل مركزها السياسي والعسـكري والاقتصـادي يتنـامى ويتقـوى بسـرعة مذهلـة. وتكـون ذات كيـان معتبر في المنطقة وما حولها.

وأتاحت لـها هذه الظروف بتوفيق اللـه تعـالى، أن تكـون دولـة ذات رسـالة وحـامله لـواء التوحيـد والسنة، وهذا مما سوغ لها أن تقـوم بـواجب الجهـاد لنشـر الـدين، ونصـرة الحـق وأهلـه، وبعـد تـوافر الشـروط الشـرعية للجهـاد: مـن الدولـة والإمـارة والبيعـة والأنصـار والجيـوش، والمركـز السياسـي والاجتمـاعي وعليـه فـإن الـدعوة ودولتهـا لـم تبـدأ

القتال ولم تتجاوز موقف الدفاع إلا حينما تقوَّت، واشتد ساعدها في حلبة الصراع، وصارت لها إمامة شرعية وبيعة وكيان.

فإن الخصوم من رؤساء بعض الأقاليم المجاورة، وأمراء الأحساء، وأمراء نجران قد بدؤوا بالهجوم المسلح على الدرعية.

وكذلك أمراء مكة وقد أعلنوا موقفهم العدائي للدعوة وإمامتها ودولتها وأتباعها في وقت مبكر، ومنعوهم من أبسط حقوقهم وهو الحج.

قال محمود فهمي باشا المهندس المصري في الجزء الأول من تاريخه (البحر الزاخر) في سياق الكلام على الدعوة وأهلها التي سماها: الوهابية.

« ومن بعد مدة استمرت في محاربات شديدة، ووقائع عتيدة، دخل جميع بلاد العرب في العقائد الوهابية، أي العقائد الإصلاحية للديانة الإسلامية، وصارت نجد أيضاً في حالة سياسية مدنية جديدة، وبدل أن كانت جهاتها منقسمة إلى عدة عشائر، وشعوب صغيرة منفصلة عن بعضها ومستمرة في حروب وكروب بين بعضها صارت مقر دولة قوية، وسلطنة سياسية، مثال سلطنة الخلفاء القدماء ولرئيس هذه الدولة السلطة في الأعمال الدينية، والدنيوية ».

« ومع ما كان عليه الوهابيون من الحروب والمبارزات في بلاد العرب لم يعتدوا على حقوق الحكومتين المجاورتين لهم، وهما حكومة بغداد

والحجـاز، وكـانت قوافـل الحجـاج تمـر مـن وسـط أراضـيهم مـن غيـر أن يحصـل لأي قافلـة ضـرر أو انزعاج، وكانوا في أحوال أخويـة وديـة مـع الشـريف سرور شـريف مكـة، وفـي سـنة (1781) بعـد الميلاد استحصلوا على رخصة منه في أداء حجهم وطـوافهم بالكعبـة، فتولـد مـن زيـادة قـوتهم، ونفـوذ شـوكتهم اشتعال نار الحسد في قلب الشريف غالب، وفي ظرف بضع سنين من تقلده الحكومة وتوظفه شريف مكة بعد الشريف سرور أعلن حرباً على الوهابية وكانت طرائق هـذا الحـرب مثـل طرائـق حـرب البـدو متقطعاً بهدنات صغيرة قصيرة المدة، ولمـا انتظمـت مخابرات الشريف غالب مع الدولـة التركيـة العثمانيـة لم يهمـل أدنـى طريقـة يمكنـه إجراؤهـا فـي تمكيـن الدولة العثمانية من دخول عسـاكرها فـي بلاد العـرب لأجل الوقوع بالوهـابيين إلا وأجراهـا، وأثبـت[1] أنهـم من الملحـدين الكـافرين، وأن معـاملتهم مـع قوافـل الحجاج التركية من أقبح الأعمال الفاسدة المضرة بالدين » اهـ.

« ثم قد أعقب هذا الافتراء والإفسـاد أن أمـرت الدولة العثمانية حكومة بغداد قتال الوهابيين ففعلـت فلما اشتغل الوهابيون بقتال الدولة، ودخلـوا العـراق زحف الشريف غالب على نجد، واسـتولى علـى قريـة فيها فكـان هـذا هـو السـبب لزحـف الوهـابيين علـى الحجاز وفتحه »[2].

---

1 () هو يزعم ذلك لكنه لا يستطيع إثباته.

2 () عن كتاب: الوهابيون والحجاز لمحمد رشيد رضا (58،

وبهذا نعرف أن أمراء مكة هم الظالمون وهم البادءون بالعدوان، فقد منعوا هؤلاء المسلمين من الحج، ولما طال منعهم وحرمانهم من الحج وهو ركن الإسلام، ثم لما أعلن الأشراف وأعوانهم الحرب والقتال، وغزوهم في مقر دارهم كان مما ليس منه بد من الدفاع أولاً لصد العدوان، ثم الاستمرار في قتال المعتدين وكف شرهم، وتأمين سبيل الحج وإبلاغ دعوة التوحيد والسنة، وتخليص المسلمين من أوضار البدع والمحدثات والمظالم التي شاعت في بلاد الحرمين، فكان ما لابد منه وهو الاستيلاء على مكة.

فدخلتها جحافل الدعوة وفي مقدمهم الإمام الصالح سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود سلماً وبدون قتال، فأقام شعائر الدين على السنة، وهدم القباب والمشاهد وكل مظاهر البدع.

وجمع المسلمين على إمام واحد، وكانوا يصلون متفرقين أتباع كل مذهب مع إمامهم. وأزال المنكرات الظاهرة.

وشرع في نشر العلم وتفقيه الناس في دينهم، في العقيدة والأحكام، « أما ما أشاعه خصوم الدعوة من أن جيوش الأمير سعود لما دخلوا مكة سالت الدماء أنهاراً فهو محض افتراء .

وهنا أصل شرعي عملت عليه الدعوة لما

(59.

تمكنت وصار لها كيان ودولـة وهـو قتـال المخـالفين إذا وقفوا ضد الحق والدين والسـنة والعـدل والأمـن وانحازوا مع الباطل والشر والبدع والظلم والفوضى والفتنة، فإن قتال المخالفين فـي هـذه الحـال نـوع مـــن الجهـــاد

والخلاصة:

أن الدعوة لما صار لها كيان وقامت لها دولة مهيبة وجيوش صارت تحارب، وتعاهد وتسالم بمقتضى شرع الله تعالى والعهود المرعية، ومكنهم الله تحقيقاً لوعده عن نصر دينه،

[سورة الحج، آية: 40].

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وبهذا نقول بأن هذه الدولة حين نصرت الدين وحملت لواء السنة والدعوة، فهي أمكن دولة على الأرض، وأحق أن تسالم وتحارب وتدافع عن الحق بشرع الله ولا تزال ولن تزال كذلك بحول الله وقوته ما دامت على هذا العهد.

هذا وليس بينهم وبين من قاتلوهم معاهدات ولا مواثيق تمنع من القتال في سبيل الله.

كما أنه في تلك الفترة لم تظهر المنظمات الدولية والمواثيق الأمنية التي التزمتها الدول.

ولما ظهرت المعاهدات والمنظمات الدولية الحديثة كانت المملكة العربية السعودية من أكثر الدول التزاماً للعهود والمواثيق والاتفاقيات

المشروعة التي كانت هـي طرفـاً فيهـا، وحـتى الآن وكل منصف يشهد لها بذلك.

ولما كثرت الإشكالات والتسـاؤلات مـن الخصـوم، وبعـض المؤيـدين والمحايـدين البعيـدين عـن سـاحة الصراع والقتال بين الدعوة وخصومها، حول قتال الممتنعيـن عـن أداء شـعائر الـدين وأركـان الإسـلام كالصـلاة والزكـاة، وقتـال الممتنعيـن عـن تـرك الشـركيات والبـدع، وإزالـة مظاهرهـا مـن القبـاب والمشاهد والمزارات ونحوها حين حصل هذا:

أجاب علماء الدعوة وقادتها وأمراؤها عن شبهات القوم بأدلة القـرآن والسـنة وعمـل السـلف الصـالح من الصحابة والأئمة الأربعة وغيرهم الموجبة لقتـال تارك الصلاة، بل وصرح الفقهاء بقتال تارك الوضـوء وقتال أهل البلد إذا تركوا الأذان أو صلاة العيـدين، أو منعوا الزكاة، وذكروا كلام الأئمة المعتبرين في ذلـك من المالكية والشافعية والحنابلة، وغيرهم[1].

يقول الإمام محمد عبدالوهاب موضحاً هذه المسألة:

« وأمـا القتـال: فلـم نقاتـل أحـداً إلاّ دون النفس، والحرمة؛ فإنا نقاتل على سـبيل المقابلـة ﴿ ﴾ [سورة الشـورى، آيـة: 40] وكذلك: من جـاهر بسـبِّ ديـن الرسول، بعدما عرفه، والسلام »[2].

---

1 () الدرر السنية (10/304-335).

2 () الدرر السنية (1/83).

إضافة إلى ما ذكره الإمام وأتباعه في نفي هذه الشبهة فإن الشيخ صرح أن من الكبائر قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، حيث قال: « باب تعظيم قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق »[3].

وقد أثار عليهم خصومهم وبعض الجهلة أنهم يستحلون الغارات والقتال والأموال بدعوى أنها غنائم، وهذا من التلبيس، فإن الغنائم قد أحلها الله ورسوله بالقتال المشروع. وقد أجاب الشيخ عبدالرحمن بن حسن عن هذه الشبهة بقوله:

« من المعلوم عند الموافق والمخالف، أن أئمة المسلمين، الذين أقام الله بهم هذا الدين، بعدما اشتدت غربته من بين الظلمة والمفسدين، أن الله بفضله ورحمته، أقامهم بالحق المبين، فدعوا إلى التوحيد، وأنكروا كل شرك وشك وتنديد، ونشروا أعلام الجهاد، حتى أدخل الله بدعوتهم، كل حاضر من قومهم وباد.

فأخذوا تلك الأموال من أهل البغي والفساد، بسيف الحق والجهاد، فهو -بحمد الله- من طيب الحلال بلا تردد ولا إشكال، فقد أحل الله لرسوله

واضطرب.

وكل ما لا يؤيد بالدليل، فلا التفات إليه، ولا تعويل، على أن الكثير من تلك الأموال، التي أخذت

---

3 **() كتاب الكبائر للإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب (77).**

على هذا الوجه الحلال، وصارت من جملة بيت المال، قد تركت في أيدي الغاصبين لها، حين تبدلت الحـال؛ فلما قام هـؤلاء الـولاة، واجتمـع عليهـم النـاس فـي هذه الأوقات، لم يبق في أيديهم من أموال الفيء إلا القليل، لتغلب أنـاس عليهـم مـن ظلمـة ذلـك الجيـل »[1].

ومن المفتريات التي أشـاعها خصـومهم دعوى أنهم يتعمدون قتل مـن لا يجـوز قتلهـم من الشيوخ والنساء والصبيان ونحوهم.

وقد أجاب على ذلك الشيخ: عبدالله بن الإمـام: « وأما قولكم: إنه يحكى لنا أنكم تقتلون، ذا الشـيبة، والمرأة، والصغير، ورسول الله أمر أن لا يقتل من المشركين لا شـيبة عـاجز، ولا امـرأة، ولا قاصـر لـم ينبت؛ فنقول: هذا كذب وزور، وبهتان علينا فلا نأمر بقتل الشـيخ الكـبير مـن المشـركين، ولا المـرأة ولا الصـغير الـذي لـم ينبـت، فـإن كـان أحـد مـن جهـال المسلمين البعيد عنا فعل شيئاً من ذلك، فهو مخطئ مخالف لشرع الله ورسوله، ونحن نبرأ إلـى اللـه مـن ذلك »[2].

كان الشيخ الإمام يعلـم، وكـان يـدور فـي خلـده آنذاك أن الـ دعوة إلـ ى توحيـ د اللـ ه تعـ الى نشـ ر الـ دين والعلم والعمل بشرع الله، ومحاربة البدع والشـركيات

---

1 () الدرر السنية (11/324، 325).

2 () الدرر السنية (9/243).

والجهل، ومحاربة الفساد والظلم والشتات، كل ذلك من الأمور الكبار التي -ولا شك- ستثير أعداء وأنها سيكون لها كيان وقوة ويظهر ذلك جلياً من قول له لابن معمر في العيينة « إن هذا الذي أنا قمت به ودعوت إليه كلمة لا إله إلا الله، وأركان الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن أنت تمسكت به ونصرته، فإن الله سبحانه يظهرك على أعدائك، فلا يزعجك سليمان ولا يفزعك فإني أرجو أن ترى من الظهور والتمكين والغلبة ما ستملك بلاده (يعني والي الأحساء) وما وراءها وما دونها »[1].

وقوله لمحمد بن سعود عند قدومه إليه بالدرعية: « فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك من الغنائم ما هو خير منها »[2]، (يعني الضرائب).

---

1 () عنوان المجد لابن بشر (1/10).

2 () المصدر السابق (1/11).

المبحث السادس

قضايا أخرى

مثـــل:

* دعوى أنهم خوارج وأن سيماهم التحليق.

* دعـــوى أن منشـــأ الـــدعوة (نجـــد) هـــي قـــرن الشيطان.

* لمزهم أنهم من بلاد مسيلمة الكذاب.

* فريـة منـع الحـج ونهْـب خزائـن الحجـرة النبويـة وانتهاك حرمة المقدسات.

* دعوى أنها مذهب خامس.

* دعوى الخروج على الخلافة العثمانية.

مناقشة دعوى أنهم خوارج وأن سيماهم التحليق:

ومن أعظم المفتريات التي أشاعها خصوم الدعوة والجاهلون بأصولها ومنهجها وواقعها - اتهام إمامها وأتباعها وولاتها بأنهم خوارج.

وألصقوا فيهم ما ورد من صفات الخوارج ونحوها، كالتكفير بالذنوب، واستحلال الدماء، والتحليق، وأنهم قرن الشيطان، وأتباع مسيلمة وقد ناوؤا هذه الدعوة ودولتها بهذه الدعاية، فأوهموا كثيراً من المسلمين والجنود التي تقاتل في صفوفهم بأنهم يقاتلون الخوارج الذين أمر الرسول بقتالهم.

وهذه الدعوى من إحدى الكُبر والبهتان العظيم.

فإن الناظر لحقيقة الدعوة في عقيدتها ومنهجها وأحكامها ومعاملاتها وما كتبه علماؤها من المصنفات والرسائل والمحاورات والردود، وما كتبه عنها المنصفون والمحايدون من المسلمين وغير المسلمين يجد الحقيقة بينة جلية في أن الدعوة - إمامها وعلماءها ودولتها وأتباعها بريئون من مذهب الخوارج براءة الذئب من دم يوسف.

فإن من يعيرهم الآخرون (بالوهابية) إنما هم -كما أسلفت- يمثلون أهل السنة والجماعة السلف الصالح، فهم على سنة الرسول وسبيل المؤمنين

من الصحابة والتابعين وأئمة الدين من الأئمة الأربعة ومن كان على منهاجهم من العلماء المعتبرين.

فمصادرهم: القرآن وما صح عن رسول الله .

وقـدوتهم: الرسـول وصـحابته -- والسلف الصالح.

وغايتهم: تحقيق التوحيد ومسـتلزماته، ونفـي الشـرك وذرائعـه، وإقامـة فرائـض الـدين ونشـر الفضائل ومكارم الأخلاق.

وشعارهم: الدعوة إلى الله والأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر.

وقبل أن أسوق نبذة مـن أقـوالهم ومـواقفهم من بدع الخوارج، أعرض للقارئ مقارنة موجزة بيـن منهجهم ومناهج الخوارج فمن ذلك:

- **أن الخـوارج (ناصـبة) يطعنـون فـي علـي -- ولا يعتدون بإمـامته، وقـد خرجـوا عليـه وعلـى جماعـة المسلمين. وأهل السنة ومنهـم أتبـاع هـذه الـدعوة يترضـون عـن علـي -- ويرون ه رابـع الخلفـاء الراشدين، ولا يرون الخروج عليه ولا على غيره من أئمة المسلمين.**
- **والخوارج يطعنون في كـثير مـن الصـحابة كعثمـان وعلي ومعاوية وأبي موسى الأشـعري، وعمـرو بـن العـاص، وطلحـة والزبيـر --، وغيرهـم مـن خيـار الصـحابة، وأهـل السـنة ومنهـم اتبـاع هـذه الـدعوة يوالون كل الصحابة ويترضون عنهم.**

- والخوارج يكفرون أهل الكبائر ويستحلون دماءهم، ويعتقدون خلودهم في النار إذا ماتوا على كبائرهم. وأهل السنة على خلاف ذلك ومنهم اتباع هذه الدعوة.

- والخوارج ينكرون الشفاعة والرؤية الثابتة بالنصوص القطعية، وأهل السنة ومنهم أتباع هذه الدعوة على خلاف ذلك.

- والخوارج سيماهم التحليق، وليس هذا من شعارات أتباع الدعوة ولا من سماتهم، وقد تبرءوا من هذا الشعار كما أسلفت.

وهنا أسوق شيئاً من أقوالهم ومواقفهم من مذهب الخوارج وردهم على من اتهمهم به:

لما سئل أبناء الإمام، محمد بن عبدالوهاب، وحمد بن ناصر بن معمر، هل عندكم: أنه ما يلبث موحد في النار، أم لا؟ (أي كما تزعم الخوارج والمعتزلة):

فأجابوا: « الذي نعتقده ديناً، ونرضاه لإخواننا المسلمين، مذهباً، أن الله تبارك وتعالى لا يخلد أحداً فيها من أهل التوحيد، كما تظاهرت عليه الأدلة، من الكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال الشيخ تقي الدين أبوالعباس ابن تيمية -رحمه الله-: تواترت الأحاديث عن رسول الله « بأنه يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه من الإيمان ما يزن

شعيرة »[1] وفي لفظ « ذرة » ولكنها جاءت مقيـدة بالقيود الثقال، كقولـه: « من قال: لا إله إلا اللـه خالصاً مـن قلبـه »[2] وفـي روايـة « صـادقاً مـن قلبه » انتهى.

وهـذا: هـو مـذهب أهـل السـنة والجماعـة، مـن أصحاب رسول الله [illegible]

فـالقول بتخليـد أهـل الكبـائر فـي النـار مـن الأصول المميزة للخوارج وتتفق عليها فرقهـم. وردُّ أهـل السـنة -ومنهـم الإمـام محمـد وأتبـاعه- علـى الخـوارج فـي هـذه المسـألة وغيرهـا مشـهور مستفيض. وبذلك كانوا ينفون تهمة أنهم خوارج.

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسـن ابـن الإمـام محمد بن عبدالوهاب:

« وأمـا أهـل هـذه الـدعوة الإسـلامية[4]، الـتي أظهرها الله بنجد، وانتشرت واعـترف بصـحتها كـثير من العلماء والعقلاء، وأدحض الله حجـة مـن نـازعهم بالشهادة، فهم بحمد اللـه أبعـد النـاس عـن مشـابهة الخوارج وغيرهم من أهل البـدع، ودينهـم هـو الحـق،

1 () رواه البخاري (3340) (3361) (4712)، ومسلم (194).
2 () رواه البخاري (99، 6570).
3 () الدرر السنية (1/194).
4 () هي دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب.

يدعون إلى ما بعث الله به رسله، من إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وينهون عن دعوة الأموات والغائبين، وطلب الشفاعة منهم ».

وقال: « ولم يكفروا أحداً من الصحابة -[illegible]- [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]»[1].

وهم يحذِّرون من الخوارج ومن بدعهم ويعلنون مخالفتهم كما جاء في رسالة الإمام فيصل بن تركي إلى راشد بن عيسى في البحرين كتبها الشيخ: عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن قال:

« وأما أهل البدع، فمنهم: الخوارج، الذين خرجوا على أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب -[illegible]- وقاتلوه؛ واستباحوا دماء المسلمين، وأموالهم متأولين في ذلك، وأشهر أقوالهم: تكفيرهم بما دون الشرك من الذنوب، فهم: يكفرون أهل الكبائر، والمذنبين من هذه الأمة؛ وقد قاتلهم: علي بن أبي طالب -[illegible]- ومن معه من أصحاب رسول الله [illegible].

وصحت فيهم الأحاديث »[2].

وقد أنكر الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن على بعض الغلاة المنتسبين للدعوة فقال:

« وقد بلغنا: عنكم، نحو من هذا، وخضتم في

---

[1] () الدرر السنية (11/533-537).

[2] () الدرر السنية (1/489).

مسائل من هذا الباب، كالكلام في المـوالاة والمعـادة، والمصالحة والمكاتبة، وبـذل الأمـوال والهـدايا، ونحـو ذلك من مقالة أهل الشرك بالله، والضـلالات، والحكـم بغير ما أنزل الله عند البوادي ونحوهم مـن الجفـاة، لا يتكلـم فيهـا إلا العلمـاء مـن ذوي الألبـاب، ومـن رزق الفهم عن الله، وأوتي الحكمة وفصل الخطاب »[1].

قـال: « وأمـا: التكفيـر بهـذه الأمـور، الـتي ظننتموها، من مكفرات أهل الإسلام فهـذا: مـذهب، الحرورية، المـارقين الخـارجين علـى علـي بـن أبـي طالب، أمير المؤمنين، ومن معه من الصحابة »[2].

أما فريـة أن سـيماهم التحليـق كمـا هـي سمة الخوارج: فقد أشاع خصوم الدعوة أن أتباعها يتعبدون بحلق شعر الرأس وأنهم يجعلون ذلك سـمة لهم، وأنهم بذلك يكونـون مـن الخـوارج الـذين أخـبر النبي أن سـيماهم التحليـق[3] وهـذا مـن البهتـان، فإن أقوالهم وفتاويهم، وحالهم تكـذِّب هـذا البهتـان أما ما ينسب لبعض الجهلـة والأعـراب فـي ذلـك مـن التشدد والقتال على هذا، فإن ذلك من الخطأ الذي لا يقر بل كانوا يؤدبون عليه.

قـال الشـيخ عبـدالله بـن الإمـام محمـد بـن عبدالوهاب راداً لهذه الفرية:

« وأما البحث عن حلق شـعر الـرأس، وأن بعـض

1 () الدرر السنية (1/468، 469).
2 () الدرر السنية (1/468، 469).
3 () رواه مسلم (2472) من حديث سهل بن حنيف.

البوادي الذين دخلوا في ديننا، قاتلوا من لم يحلق رأسه، وقتلوا بسبب الحلق خاصة، وأن من لم يحلق رأسه صار مرتداً؟

فالجواب: أن هذا كذب وافتراء علينا، ولا يفعل هذا من يؤمن بالله واليوم الآخر، فإن الكفر والردة لا تكون إلا بإنكار ما علم بالضرورة من دين الإسلام، وأنواع الكفر والردة من الأقوال والأفعال، معلومة عند أهل العلم، وليس عدم الحلق منها، بل ولم نقل أن الحلق مسنون، فضلاً عن أن يكون واجباً عن أن يكون تركه ردة عن الإسلام.

والذي وردت السنة بالنهي عنه، هو القزع، وهو: حلق بعض الرأس، وترك بعضه، وهذا هو الذي نهينا عنه ونؤدب فاعله، ولكن الجهال القادمون إلينا لا يميزون أنواع الكفر والردة، وكثير منهم غرضه نهب الأموال، ونحن لم نأمر أحداً من الأمراء بقتال من لم يحلق رأسه.

بل نأمرهم بقتال من أشرك بالله، وأبى عن توحيد الله، والتزام شرائع الإسلام وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، فإذا فعلوا خلاف ذلك وبلغنا ذلك من فعلهم لم نقرهم على ذلك، بل نبرأ إلى الله من فعلهم، ونؤدبهم على قدر جرائمهم، بحول الله وقوته »[1].

ويقول عبدالكريم بن فخر الدين:

---

[1] () الدرر السنية (10/275-276).

« وأما ما ورد في الخوارج سيماهم التحليق، فلا ينطبق على ما ادعاه فإن ترك الشعر واللّمة سنة عند محمد بن عبدالوهاب وأتباعه، فإن كان صحيحاً يحمل أمره ذلك، فيمن كان جديد الإسلام كما قال رسول الله ﷺ: (□□□ □□□ □□□ □□□□□[1]) »[2].

ويقول الشوكاني لما بلغته بعض المفتريات والشائعات عن الإمام عبدالعزيز بن سعود وعن الإمام محمد بن عبدالوهاب:

« وبعض الناس يزعم أنه يعتقد اعتقاد الخوارج، وما أظن ذلك صحيحاً، فإن صاحب نجد وجميع أتباعه يعملون بما تعلموه من محمد بن عبدالوهاب »[3].

وخلاصة القول أن السلف الصالح أهل السنة والجماعة، ومنهم الإمام وأتباعه لا يتعبدون بالتحليق ولا يجعلون شعاراً لهم، ولا يلزمون على جهة التعبد أحداً بذلك.

أما ما قد يحدث من أن بعضهم يرغب التحليق عادة، أو يأمر غيره به أحياناً من غير إلزام، ومن غير براء ممن لم يفعل، أو يحلقه ويأمر بحلقه على جهة

---

1 **() الحق المبين في الرد على اللهابية المبتدعين، ص(44)، عن دعاوى المناوئين (190).**

2 **() رواه أبوداود (1/59)، وأحمد (3/415) من حديث عثيم بن كليب عن أبيه عن جده، وحسنَّه الألباني لشواهده في الإرواء (1/120)، وصحيح أبي داود رقم (383).**

3 **() البدر الطالع (526).**

النظافة، والتخفف من مشـقة صـيانة الشـعر وتعهـده بالدهن والغسل والفرق ونحو ذلك، فهـذا ممـا لا نـزاع فيه، وليس مما يثرب فيه على أحد.

دعوى أن منشأ الدعوة قرن الشيطان:

مما أثاره خصوم الدعوة من أهل الأهواء والبدع والافتراق دعوى أن نجد هي قرن الشيطان استناداً للحديث الذي ورد فيه أن نجد والمشرق قرن الشيطان.

مع أن العلماء من الصحابة والتابعين وأئمة السلف وغيرهم من أهل اللغة والمعاجم ذكروا أن المقصود بالمشرق ونجد في الحديث هي نجد العراق.

وبيَّنوا كذلك أن الذم ليس لكل من سكن نجداً والمشرق.

كما لا يلزم من ذم مكان الذم المطلق في كل الأحوال والأزمنة.

والعراق نفسه وهو الذي ورد فيه الذم، لا يعني ذلك أنه لا خير فيه مطلقاً، ولا أن أهله مذمومون، وأن ما خرج منه من العلم والصلاح والخير مردود، إنما تخرج منه الفتن أكثر من غير، من قِبَل أهل الأهواء والفساد لا أهل الصلاح فكثيرون من أهل العراق هم من أئمة الإسلام وقادته، وعلمائه وخرج منه خير كثير للإسلام والمسلمين في دينهم ودنياهم.

وخرجت من العراق دعوات إصلاحية كبرى ودعاة مهتدون كالإمام أبي حنيفة والإمام أحمد.

فهل نرد مذهب كل من هذين الإمامين

وأمثالهما لمجرد أنها صدرت من موطن الفتن وقرن الشيطان.

فخبر النبي ﷺ [illegible]

وكذلك نجد وسط شبه الجزيرة -لو فرضنا جدلاً أنها معنية بالحديث- فلا يعني ذلك أنها لا يصدر عنها ولا عن أهلها خير ولا صلاح، وأنها لا تنصر التوحيد والسنة، فمكة والمدينة وهما أفضل البقاع لم تسلم من ظهور الشركيات والبدع، حول القباب والأضرحة والمزارات والمشاهد التي أزالتها الدولة السعودية المباركة فهل يجوز أن يكون مناط الذم لنجد ظهور التوحيد والسنة فيها؟ وهل يكون مناط المدح لمكة والمدينة -آنذاك- ظهور البدع والمنكرات فيها؟ لا يقول ذلك عاقل فضلاً عن المؤمن.

وهذا كله على سبيل التنزل في الحوار.

ونرجع إلى تقرير أن نجد المقصودة في أحاديث النبي ﷺ تلك هي نجد العراق وهي المقصودة بالمشرق بالنسبة للمدينة النبوية.

وقد بيّن الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن أن المراد بالمشرق ونجد الذي ورد ذمه في الحديث هو العراق فقال:

« إن المراد بالمشرق ونجد في هذا الحديث وأمثاله هو العراق؛ لأنه يحاذي المدينة من جهة الشرق، يوضحه أن في بعض طرق هذا الحديث: «

وأشار إلى العراق » قال الخطابي: نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة، كان نجده بادية الشام ونواحيها فهي مشرق أهل المدينة، وأصل نجد ما ارتفع من الأرض، وهو خلاف الغور فإنه ما انخفض منها، وقال الداودي: أن نجداً من ناحية العراق، ذكر هذا الحافظ ابن حجر، ويشهد له ما في مسلم عن ابن عمر قال: يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة، سمعت رسول الله

---

1 () رواه مسلم (7297).

2 () رقم (13422) بلفظ "عراقنا) بدلاً من "نجدنا"، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (3/308) رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات.

3 () منهاج التأسيس والتقديس في الرد على ابن جرجيس، ص(62)، قال الدكتور عبدالعزيز العبداللطيف في ذلك: « ولا يعني ذلك ذم علماء العراق... لما ورد من أحاديث في شأن بلادهم، يقول الشيخ عبداللطيف في مصباح الظلام، ص(236):
« ولا يقول مسلم بذم علماء العراق لما ورد فيها، وأكابر أهل الحديث وفقهاء الأمة أهل الجرح والتعديل أكثرهم من أهل العراق ».
وانظر: رسالة أكمل البيان في شرح حديث نجد قرن

[illegible]

[illegible]:

« الذم إنما يقع في الحقيقة على الحال لا على المحل، والأحاديث التي وردت في ذم نجد كقوله : « اللهم بارك لنا في يمننا. اللهم بارك لنا في شامنا » قالوا وفي نجدنا قال: « هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان »[1]... قيل أنه أراد نجد العراق؛ لأن في بعض ألفاظه: ذكر المشرق، والعراق شرقي المدينة، والواقع يشهد له، لا نجد الحجاز، ذكره العلماء في شرح هذا الحديث، فقد جرى على العراق من الملاحم والفتن، ما لم يجر في نجد الحجاز، يعرف ذلك من له اطلاع على السير والتاريخ، كخروج الخوارج بها، وكمقتل الحسين، وفتنة ابن الأشعث، وفتنة المختار وقد ادعى النبوة، وقتال بني أمية لمصعب وقتله، وما جرى في ولاية الحجاج بن يوسف من القتال، وسفك الدماء وغير ذلك مما يطول عده.

وعلى كل حال فالذم إنما يكون في حال دون حال، ووقت دون وقت، بحسب حال الساكن؛ لأن الذم إنما يكون للحال دون المحل، وإن كانت الأماكن تتفاضل. وقد تقع المداولة فيها، فإن الله يداول بين خلقه، حتى في البقاع، فمحل المعصية في زمن

الشيطان، ص(43)، ودعاوى المناوئين (186).

[1] **() رواه البخاري (7094)، والترمذي (3953)، وابن حبان (7301)، وأحمد (5987)، واللفظ له.**

قد يكون محل طاعة في زمن آخر، وبالعكس »[1].

ويرد الشيخ عبداللطيف كذلك على من طعن في نجد اليمامة؛ لأنها -على حد زعمه- بلد نجدة الحروري والقرمطي، فيقول: « كون نجدة الحروري والقرمطي من هذه البلاد، كلام كذب وزور على عادته، فإن نجدة ابتلي ببدعته ومروقه بالعراق، وبما استقر وهي وطنه، وأيضاً فقد ثبت أنه تاب لما ناظره ابن عباس، والقرمطي بلاده القطيف والخط، وليس من حدود اليمامة، بل ولا من حدود نجد. ثم لو فرض أنه من نجد، ومن اليمامة ومن بلدة الشيخ أي ضرر في ذلك؟

وهل عاب الله ورسوله أحداً من المسلمين أو غيرهم ببلده ووطنه، وكونه فارسيًّا أو زنجياً أو مصريًّا من بلاد فرعون، ومحل كفره وسلطته؟ وعكرمة بن أبي جهل م ن أفاضل الصحابة، وأبوه فرعون هذه الأمة »[2].

وقال الشيخ السهسواني في كتاب « صيانة الإنسان » عند ذكره الروايات في شأن نجد قرن الشيطان، وساق أقوال العلماء في ذلك، ومرادهم بنجد هاهنا، ثم قال:

« ولا يخفى عليك أن لفظاً من ألفاظ هذا الحديث، لا يقتضي أن كل من يولد في المشرق

---

1 () مجموعة الرسائل والمسائل (4/264).

2 () مصباح الظلام ص(295).

يكون مصداقاً لهذا الحديث حتى يثبت ما ادعاه المؤلف ».

ثم قال: « ومجرد وقوع الفتنة لا يستلزم ذم كل من يسكنه، بدليل ما رواه الشيخان عن أسامة ابن زيد قال: أشرف النبي [illegible]: « هل ترون ما أرى؟ » قالوا: لا قال: « فإني لأرى الفتن تقع من خلال بيتكم كوقع المطر »[1][2].

وذكر المؤلف أحاديث أخرى، ثم قال:

« وهذه الأحاديث وغيرها مما ورد في هذا الباب دالة على وقوع الفتن في المدينة النبوية، فلو كان وقوع الفتن في موضع مستلزماً لذم ساكنيه لزم ذم سكان المدينة كلهم أجمعين، وهذا لا يقول به أحد، على أن مكة والمدينة كانتا في زمن موضع الشرك والكفر، وأي فتنة أكبر منهما؟ بل وما من بلدٍ أو قريةٍ إلا وقد كانت في زمن أو ستصير في زمان موضع الفتنة، فكيف يجترىء مؤمن على ذم جميع مسلمي الدنيا؟ وإنما مناط ذم شخص معين كونه مصدراً للفتن من الكفر والشرك والبدع ».

ثم ذكر السهسواني الروايات التي تثبت أن العراق هو المراد في أحاديث الفتن في نجد، وأنه

---

1 () رواه البخاري رقم (1878) كتاب فضائل المدينة: باب آطام المدينة، ومسلم رقم (7245) كتاب الفتن وأشراط الساعة: باب نزول الفتن كمواقع القطر.

2 () صيانة الإنسان، ص(491).

المشرق بالنسبة للمدينة المنورة[1].

ويقـول محمـود شـكري الآلوسـي عـن بلـده العـراق - والـتي هـي فـي الحقيقـة نجـد قـرن الشيطان-:

« ولا بدع فبلاد العراق معدن كـل محنـة وبليّـة، ولم يزل أهل الإسلام منها في رزية بعد رزيّة، فأهـل الحـروراء ومـا جـرى منهـم علـى الإسـلام لا يخفـى، وفتنة الجهمية الذين أخرجهم كثير مـن السـلف مـن الإسلام إنما خرجت ونبغت بـالعراق، والمعتزلـة ومـا قـالوه للحسـن البصـري وتـواترت النقـل بـ ه... إنم ا نبغوا وظهروا بالبصـرة، ثـم الرافضـة والشـيعة ومـا حصـل فيهـم مـن الغلـو فـي أهـل الـبيت، والقـول الشـنيع فـي الإمـام وسـائر الأئمـة ومسـبّة أكـابر الصحابة...، كل هذا معروف مستفيض »[2].

ويرد الشيخ ابن سحمان علـى مـن وصـف أهـل نجد بأنهم من ذرية مسيلمة الكذّاب، وبين أن العـراق هـي مـوطن الفتـن؛ لأنهـا مشـرق المدينـة وليسـت اليمامة، يقول:

« وآباء أصحاب رسول اللـه وأسـلافهم كـانوا علـى جاهليـة، وشـرك، وعبـادة للأصـنام والأحجـار وغيرهـا. ولا يتـوجه عيـب أحـد منهـم بأسـلافه وقـد يخرج الله من أصلاب المشركين، والكفّار من هو من

1 () المرجع السابق، ص(492).

2 () غاية الأماني في الرد على النبهـاني (2/148) باختصـار. عن دعاوى المناوئين (189).

خواص أوليائه وأصفيائه... »[1].

ويقول: « وقد كان بلد الشيخ اليمامة، ولم تكن اليمامة مشرق المدينة، بل مشرق المدينة العراق ونواحيه، فاليمامة ليست مشرق المدينة، ولا هي وسط المشرق بين المدينة والعراق، بل اليمامة شرق مكة المشرفة... »[2].

ويوضح الشيخ حمود التويجري في كتابه « إيضاح المحجة »:

« أن الروايات الواردة في طلوع قرن الشيطان في المشرق كلها عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما-، وقد صرح في بعضها أن المراد بالمشرق أرض العراق فبطل بذلك كل ما يتعلق به الملاحدة على أهل الجزيرة العربية »[3].

ويقول الشيخ ناصر الدين الألباني في تعليقه على حديث « اللهم بارك لنا في شامنا... » بعد أن ساق طرقه ومروياته:

« فيستفاد من مجموع طرق الحديث أن المراد من نجد في رواية البخاري ليس هو الإقليم المعروف اليوم بهذا الاسم، وإنما هو العراق،و بذلك فسّره الإمام الخطابي والحافظ ابن حجر العسقلاني وتجد كلامهما في ذلك في شرح كتاب

---

1 () الأسنة الحداد في الرد على علوي الحداد (87).

2 () المرجع السابق (97)، وانظر: دعاوى المناوئين (189).

3 () إيضاح المحجة في الرد على صاحب طنجة (132) باختصار، وانظر: دعاوى المناوئين (191).

الفتن من صحيح البخاري للحافظ، وقد تحقق ما أنبأ بـه -ﷺ-، فـإن كثـيراً مـن الفـتن الكـبرى كـان مـصـدرها العـراق كالقـتال بيـن سيـدنا عـلي ومـعاوية، وبـين علي والخوارج، وبين علي وعائشة وغيرها مما هو مذكور فـي كتـب التاريـخ. فالحـديث من معجزاته وأعلام نبوته ﷺ»[1].

لمزهم في أنهم من بلاد مسيلمة الكذاب:

وفي لمزهم للإمام وأتباعه من أهل نجـد بأنهـا (ديار مسيلمة) يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن:

« وقد أفنى اللـه كـل مـن حضـر مسـيلمة فـي القـرن الأول ولـم يبـق بنجـد مـن يصـدق مسـيلمة الكذاب، بل من كان في أواخر عهد الصحابة -ﷺ- ومن بعدهم بنجد يكفرون مسيلمة ويكذبونه فلم يبق بنجد مـن فتنـة مسـيلمة لا عيـن ولا أثـر. فلـو ذم نجـد بمسـيلمة بعـد زوالـه وزوال مـن يصـده لـذم اليمـن بخروج الأسود العنسي ودعواه النبوة.

وما ضر المدينة سكنى اليهود فيها، وقد صارت مهاجر رسول الله ﷺ وأصحابه، ومعقل الإسـلام، ومـا ذمت مكة بتكذيب أهلهـا الرسـول ﷺ وشـدة عـداوتهم لـه، بل هي أحب أرض الله إليه، فإذا كان الأمر كـذلك فأرض اليمامة لـم تعـص اللـه وإنمـا ضـرت المعصـية سـاكنيها، [آنـذاك] بتصـديقهم كـذابهم، ومـا طـالت

---

[1] () الإمام محمد بن عبدالوهاب لمحمود الاستانبولي (90).

مدتهم على ذلك الكفر بحمد الله، فطهر الله تلك البلاد منهم، ومن سلم منهم من القتل دخل في الإسلام، فصارت بلادهم بلاد إسلام، بنيت فيها المساجد، وأقيمت فيها الشرائع، وعبد الله فيها في عهد الصحابة -- وبعدهم،و نفر كثير منهم مع خالد بن الوليد لقتال العجم، فقاتلوا مع المسلمين، فنال تلك البلاد من الفضل ما نال غيرها من بلاد أهل الإسلام، على أنها تفضل على كثير من البلاد بالحديث الذي رواه البخاري في صحيحه أن النبي قال وهو بمكة لأصحابه « أريت دار هجرتكم » فوصفها ثم قال: « فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو يثرب »[1] ورؤيا النبي وحي حق، وكفى بهذا فضلاً لليمامة وشرفاً لها على غيرها، فإن ذهاب وهله في رؤياه إليها لابد أن يكون له أثر في الخير يظهر »[2].

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رداً على من عيَّر الشيخ بأنه من ديار مسيلمة الكذاب: « ولا يعيب شيخنا بدار مسيلمة إلا من عاب أئمة الهدى ومصابيح الدجى بما سبق في بلادهم من الشرك والكفر المبين، وطرد هذا القول جرأة على النبيين وأكابر المؤمنين، وهذا المعترض كعنز السوء يبحث

---

1 **() رواه البخاري رقم (7035) كتاب التعبير: باب إذا رأى بقراً تنحر من حديث أبي موسى -.**

2 **() مجموعة الرسائل (4/265).**

عن حتفه بظلفه ولا يدري »[3].

ثم لا ننسى أنه ما في بلد من بلاد المسلمين إلا وخرج فيها متنبئ كذاب ففي اليمن خرج الأسود العنسي، وفي عمان خرج لقيط الأزدي، وفي شرق جزيرة العرب خرجت سجاح، و في شمالها ووسطها خرج طليحة الأسدي.

وفي الهند خرج الميرزا غلام أحمد القادياني، وفي فارس خرج البهاء، وفي خراسان سيخرج الدجال الأكبر... وهكذا بقية البلاد الإسلامية فهل يُذم المسلمون وتذم ديارهم مطلقاً بهذا؟!

فرية منع الحج ونهب خزائن الحجرة النَّبوية وانتهاك حرمة المقدسات:

لما تمكنت الدولة السعودية الأولى من دخول مكة زعم خصوم الدعوة أنها منعت الحج، والحق أن الحج لم يمنع إنما مُنعت ممارسة المنكرات والبدع كالمحمل ومُنعت البدع والمحدثات الأخرى في الدين كالمزارات والمشاهد والقباب، وأكثر الحجاج جهال أو أهل بدع قد يتعلقون بها، ولما منعت هذه البدع من قبل الدولة السعودية أكثر من مرة قالوا منع الحج، لأنها عندهم هي الحج فلا رغبة عندهم لقصد الحج بدون تلكم البدع التي نشأوا عليها، وغُذي هذا الشعور لديهم من قبل علماء السوء والكبراء المنتفعين من هذه الأوضاع البدعية.

---

3 () مصباح الظلام (237).

والحق: أن الدولة السعودية كلما تمكنت في الحرمين يسرت طرق الحج، وأشاعت الأمن، ووفرت المؤن للحجاج ورفعت المظالم وأسقطت الضرائب، وما أشيع خلاف ذلك فهو من المفتريات والدعايات المغرضة التي لا أصل لها أو من التجاوزات القليلة التي ربما حدثت من مغرضين أو جهلة ونحوهم ممن ليسوا على النهج الذي سلكته الدعوة ودولتها (الدولة السعودية) في منهجها القائم على الشرع والسنة.

لقد أشاع خصوم الدعوة أن الوهابيين يمنعون الحجاج من دخول الديار المقدسة وأداء شعائر الحج والعمرة.

وكان لهذه الدعاية المضادة والإشاعات الكاذبة أثره في نفوس المسلمين البعيدين عن رؤية الحقيقة مما جعل كثيرين من الحجاج في أكثر البلاد الإسلامية يحجمون عن الحج والذهاب إلى مكة والمدينة.

ولكن عندما ندرس هذه القضية بموضوعية، ونتفحص الملابسات العقدية والسياسية والتاريخية وغيرها نتوصل إلى الحقائق التالية:

1- أن الدولة السعودية حين حكمت الحجاز في أدوارها الثلاثة وحتى الآن لم تمنع الناس من الحج ولم تضيق عليهم، بل العكس هو الصحيح فقد قامت بجد وحزم بتأمين السبل وتخفيف المظالم والضرائب التي تثقل كاهل أهل الحجاز، ووفرت المؤن والخدمات للحجاج بشكل لم يسبق له مثيل

2- أنه في تلك الأثناء التي انقطع فيها بعض الحجـاج عـن الحـج بسـبب الدعايـة المغرضـة، حـج آخـرون جماعـات (كالمغاربـة) وأفـراداً مـن سـائر البلاد الإسـلامية وشـهدوا بـأنهم لـم يحصـل لهـم مـن المضايقات أو ما يمنع من إقدام الناس على الحج، بل العكس فقد رأوا استتباب الأمن وظهور السنة، واحترام مشاعر الحج وشـعائره، ورفـع الضـرائب. وبهذه الأمور تنقطع مصالح المنتفعين مـن ظهـور البدع ومن سوء الأحـوال، وهـم الـذين أشـاعوا أن الدولة السعودية منعت الحج.

3- أن الذين أوقفوا مسيرات الحج هم رؤوس القـوم وشيوخ البدع، والساسة وقادة قوافل الحج الـذين لهـم مصـالح فـي اسـتمرار البـدع والمظـالم والضرائب المصاحبة للحجيج غالباً.

وأعـرض شـهادة مـؤرخ محايـد بهـذا الصـدد وهـو الجبرتي إذ قال:

« وفي هـذه الأيـام [1] أيضـاً وصـلت الأخبـار مـن الـديار الحجازيـة بمسـالمة الشـريف غـالب للوهابيين وذلك لشدة ما حصل لهم من المضايقة الشديدة وقطع الجالب عنهم من كل ناحيـة حـتى وصل ثمـن الأردب المصـري مـن الأرز خمسـمائة ريال والأردب الـبر ثلثمائـة وعشـرة وقـس علـى

---

[1] **() أو سنة (1221هـ) الجبرتي (3/116).**

ذلك السمن والعسل وغير ذلك، فلم يسع الشريف إلا مسالمتهم والدخول في طاعتهم وسلوك طريقتهم وأخذ العهد على دعاتهم وكبيرهم بداخل الكعبة وأمر بمنع المنكرات والتجاهر بها وشرب الأراجيل بالتنباك في المسعى وبين الصفا والمروة وبالملازمة على الصلوات في الجماعة ودفع الزكاة وترك لبس الحرير والمقصبات وإبطال المكوس والمظالم، وكانوا خرجوا عن الحدود في ذلك حتى إن الميت يأخذون عليه خمسة فرانسة وعشرة بحسب حاله وإن لم يدفع أهله القدر الذي يتقرر عليه فلا يقدرون على رفعه ودفنه ولا يتقرب إليه الغاسل ليغسله حتى يأتيه الإذن وغير ذلك من البدع والمكوس، والمظالم التي أحدثوها على المبيعات والمشتروات على البائع والمشتري ومصادرات الناس في أموالهم ودورهم فيكون الشخص من سائر الناس جالساً بداره فما يشعر على حين غفلة منه إلا والأعوان يأمرونه بإخلاء الدار وخروجه منها ويقولون إن سيد الجميع محتاج إليها فإما أن يخرج منها جملة وتصير من أملاك الشريف، وإما أن يصالح عليها بمقدار ثمنها أو أقل أو أكثر فعاهده[1] على ترك ذلك كله

---

[1] **() يقصد أن الشريف غالب عاهد الإمام سعود بن عبدالعزيز.**

واتباع ما أمر الله تعالى به في كتابه العزيز من إخلاص التوحيد لله وحده واتباع سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، وما كان عليه الخلفاء الراشدون والصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون إلى آخر القرن الثالث وترك ما حدث في الناس من الالتجاء لغير الله من المخلوقين الأحياء والأموات في الشدائد والمهمات، وما أحدثوه من بناء القباب على القبور والتصاوير والزخارف وتقبيل الأعتاب والخضوع والتذلل والمناداة والطواف والنذور والذبح والقربان وعمل الأعياد والمواسم لها واجتماع أصناف الخلائق واختلاط النساء بالرجال وباقي الأشياء التي فيها شركة المخلوقين مع الخالق في توحيد الألوهية التي بعثت الرسل إلى مقاتلة من خالفها ليكون الدين كله لله فعاهده على منع ذلك كله وعلى هدم القباب المبنية على القبور والأضرحة لأنها من الأمور المحدثة التي لم تكن في عهده بعد المناظرة مع علماء تلك الناحية وإقامة الحجة عليهم بالأدلة القطعية التي لا تقبل التأويل من الكتب والسنة وإذعانهم لذلك، فعند ذلك أمنت السبل وسلكت الطرق بين مكة والمدينة وبين مكة وجدة والطائف وانحلت الأسعار وكثر وجود المطعومات، وما يجلبه عربان الشرق إلى الحرمين من الغلال والأغنام

والأسمان الأعسال حتى بيع الأردب من الحنطة بأربع ريالات، واستمر الشريف غالب يأخذ العشور من التجار وإذا نوقش في ذلك يقول هؤلاء مشركون وإنا آخذ من المشركين لا من الموحدين[1] »[2].

إذن فالمشكلة في أن أكثر أهل البدع لا يستغنون في حجهم وعمرتهم وزيارتهم للديار المقدسة عن ممارسة البدع، من زيارة القباب والقبور والمشاهد والآثار والأشجار والأحجار التي يقدسونها ويتبركون بها بزعمهم.

4- فالدعوة والدولة السعودية عملت بوصية النبي بإزالة كل آثار البدع من هذه القباب والمشاهد والمزارات وحلق الصوفية وسماعاتها وإزالة مظاهر الفرقة من تعدد الجماعات في المسجد الحرام وغيره.

وأهل البدع لا يرون للحج معنى ولا قيمة بدون هذه البدع، فلما علموا أنهم سيمنعون منها وأن مشاهدها أزيلت عدلوا عن الحج، وقد شهد المؤرخ عبدالرحمن الجبرتي أيضاً -وهو محايدٌ- كما ذكرت بهذه الحقيقة وعبر عنها بوضوح قائلاً:

« وفيه[3]، ورد الخبر بأن ركب الحاج الشامي رجع

---

1 () هذه سخرية ولمز للدعوة من الشريف غالب، وقد خذله الله.

2 () عجائب الآثار للجبرتي (3/117).

3 () يعني أول سنة (1222هـ).

من منزلة هدية ولم يحج في هذا العام، وذلـك أنـه لما وصل إلى المنزلـة المـذكورة أرسـل الوهـابي إلى عبدالله باشا أمير الحـاج يقـول أنـه لا تـأت إلا علـى الشـرط الـذي شـرطناه عليـك فـي العـام الماضي، وهو أن يأتي بدون المحمل وما يصحبهم من الطبل والزمر والأسلحة وكل ما كـان مخالفـاً للشرع، فلما سمعوا ذلك رجعوا من غيـر حـج ولـم يتركوا مناكيرهم »[1].

[1] **() عجائب الآثار للجبرتي (3/188).**